حنين

كان رذاذ الامطار يتساقط خفيفاً في ذاك الصباح الشتوي البارد .. برودة تبعث في الأوصال رغبة مشتعلة في الدفء والاحتواء .. استندت على ظهر مقعدي مراقباً الأمطار التي أراها بالكاد من خلف زجاج غرفتي .. التصقت يداي بكوب قهوتي فسرى بجسدي لهيبها المؤقت محدثاً أثرا مؤقتاً من الراحة والدفء الحبيب .. حانت مني التفاتة لهاتفي المغلق منذ أيام بعد قراري المفاجئ بالهروب والابتعاد عن كل شيء .. ارتشفت رشفتي الأولى من القهوة التي سارعت ببعث الجنون في أوصال قلبي وروحي المتعَبة .. شعور بالدفء الذي أبحث عنه يعقبه شعور بالحنين تجاه من كانت تبعث في القلب ما يماثل هذا الشعور المريح الدافئ .. حدثت نفسي وأنا أكمل إحتساء القهوة والحنين دفعة واحدة قائلاً "حسناً إنها رحلت لكن قهوتي قد بقت .. تعوضني عن رحيلها والابتعاد .. أعلم أني أنا من رحلت

ودفعتها لإلتقاط بقايا كرامتها والابتعاد هي الأخرى لكنني بخير وفي حال أفضل بدون شريك يشاركني الحياة ويناطحني الرأي ويراجعني في قرارات حياتي وأنا رجل، فطرت على الاستقلالية والحرية ووحدة القرار ولا احسبني مؤهلاً لذاك الصداع الذي تسببه "حنين" لي ... "حنين" ذاك كان اسمها وفعلها .. كانت نسمة حنين هادئة تبعث في اوصال روحي حباً وسكينة وبهجة لم أرغب في مواصلة الحياة بها .. اشتقت لحريتي ولإحساسي بأني سيد قراري الأول وسيد حياتي الأوحد.

مهما كنت رجلاً سعيداً بعلاقته فأنا أحن لوحدتي وشغفي بقهوتي .. أحن لإحساس حرية السعي وراء أي جميلة تعجبني دون الاصطدام بقيد يكبلني ويقول لي بأنني لدي شريكة ولا يجب أن أطارد الأخريات .. حسناً فعلت بدفعها للابتعاد .. لقد استعدت حريتي قولاً واحدا .. انتهيت من رشف آخر رشفة من قهوتي التي منحتني قبلة الحياة لذلك الصباح لكنها سرعان ما أورثتني شعوراً بالوحدة حالما تركت كوبي وابتعدت عنها .. عادت نفسي تحدثني قائلة "قهوة او نساء أُخريات او اصدقاء لديك الكثير مما يشعرك بعدم الوحدة والونس طوال يومك .. فلم

الارتباك اذن .. ام انها اشياء غير دائمة لا تمنحك شعور الدفء الداخلي الدائم الحنون .. لا تمنحك ذاك الحنين الهادر الذي كان يحتوى أنفاسك طوال الوقت، شعوراً غريباً بالاطمئنان والسكن الداخلي .. يقيناً مسيطراً بأنه مهما ساءت الأمور فهناك قلب في الجوار يلف قلبك بالحنو والأمان .. يحميك من تقلبات الأيام وعبث المزاج ولفحات الوحدة وقسوة الاحتياج لمن يهدهد هذا القلب وتلك الروح .. قلت لنفسي مغمغماً في كِبر "انا أفضل الآن فأنا لا أحتمل أي قيود".

ردتني نفسي لنفسي بعنف "لكن منذ متى كان السكن قيداً والدفء خانقاً والحب مكبلاً .. تحدث معها يا رجل وصل لمنطقة وسطى بعيداً عن عبث فكرة الرجل الحر الوحيد السعيد أنت تعلم ان ذلك محض هراء وأنك في حال يرثى له وحدك".

زفرت زفرة حادة ملقياً نظرة أخرى على هاتفي المغلق ثم ما لبثت ان التقطته وقمت بفتحه مستسلماً لسيل من الاشعارات المتأخرة التى قفزت امام ناظري وأنا أتأفف منها غير عابئ غير ان انطفاء وخواء عينياي ما لبث ان تحول لحنين مشتعل حين قفزت امامي رسالتها:

"أدهم .. انت فين .. بطل هبل بقى وكلمني .. انا عارفة اني أوفر وخنيقة بس بحبك .. مش عارفة ازاي بقولك كده بعد كل الي قلتهولي بس مقدرتش امنع نفسي .. كلمني بقى".

سرت دماء الحنين بعروقي وابتسامة للحياة بقلبي ثم اشتعال للحياة بالعين حين جاءني صوتها عبر الهاتف: أدهم انت فين .. وحشتني - وحشتيني .. أنا آسف .. مش حقدر أعمل أي حاجة من الي قلتهالك .. انا!!!.

- "هاهاها!!!! آي نيو ات" انا مش فاكرة الي انت قلته اصلا يلا انزل عشان اشوفك الجو يجنن والمطر حلووو.

- حنين .. بحِبك.

***